النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يرادا جميعا، وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحًا فى العقل الذى هو أصل النقل، والقدح فى أصل الشىء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحًا فى النقل والعقل جميعًا، فوجب تقديم العقل ثم النقل إما أن يتأول، وإما أن يعوض، وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما».

وقد تنوعت موضوعات الكتاب، فمنها مسألة العلو، وحديثه عن «الجهة» و«الفوقية»، وموضوع إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، وطريقة معرفته سبحانه، وقد عقد مقارنات بين أقوال الفلاسفة الكبار من أمثال: الغزالى، وابن رشد فى نقده إياه، وبين وجه الصواب فى كل منهما.

ومن أهم الموضوعات ما تناوله فى الجزء الرابع حول موضوع المعرفة الفطرية، وقد عرض لحديث الرسول -ﷺ-: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه»، ولقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (سورة الروم: الآية ٣٠)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (سورة الأعراف: الآية ١٧٢).

وقد ناقش آراء العلماء فى هذا ورجح الرأى القائل بأن الفطرة هى الإسلام، ودلل على ذلك بأدلة عقلية من الكتاب والسنة وأخرى عقلية محضة.

وتتعدد موضوعات الكتاب حول مصادر التشريع الإسلامى، ونختار منها بعض القضايا مثل:

تنزيه القرآن الكريم لله تعالى عن الشركاء، والمسائل التى نهى عنها الكتاب والسنة وهى: القول على الله بدون علم كما دلت على ذلك الآية ٣٣ من سورة الأعراف، والآية ٣٦ من سورة الإسراء.

ومنها: أن يقال على الله غير الحق كما دلت على ذلك الآية ١٦٩ من سورة